

Abstract:

Since the strength of the building is due to the origin and solidity of the foundation, the derive- in of each foundation and its validity is due to the nature of selecting its first material in building, compacting and construction, and for the sake of that the good fruit is from the goodness of the tree, and the honor of its taste is with the honor of watering it and the pledge of its soil where it is planted.

And the prospector in the honorable prophetic guidance finds these unique meanings during the Prophet's upbringing of his companions, this is in addition to the followers' approach, may God be pleased with them, the same approach in their receiving the creed and faith from these companions, so it became originally a successful reference that bears fruit in the face of every challenge or bump, and the researcher when he originates this name Rather, it communicates its construction and defines the parameters of its reference, The correct reference is the assumption of steadfastness and the necessity of the path of salvation, because the last of this nation is not corrected except by what corrected its first, and the statement of that reference according to its origins and its sound extension in terms of deduction and induction has become a major task that falls on the preachers and educators as a whole.

So that minds will not be distracted and hearts will not deviate, as the concept of faith is not limited to realizing its six principles, but rather it has a people in which people differ and as a result their reward and reward differ with God Almighty, and the conciliator is he who examines the Qur'anic and Prophetic approaches and follows their path in achieving this, and from this starting point stemmed from The idea of the topic for the researcher.

Keywords:

Religious Speech; Advocacy Purposes ; Educational Purposes.

1. مقدمة

إن التنظير أو التعريف لأي مصطلح دعوي ينبغي التأصيل له من أصوله ومراجعته ومصادره الأم، ذلك أن غياب جانب التأصيل في الدراسات الإسلامية آل بكثير من الباحثين للاستدلال بتعاريف مستشرقين ومن ثمة تحليلها ونقدها، وربما اتخذت قاعدة انطلقوا منها لبناء تعريفاتهم الإجرائية.

فما فلسفة الخطاب الديني من حيث إطلاقه؟ وما مغزى الخطاب الإسلامي من حيث مقصده؟ وما مفهوم الخطاب المسجدي من حيث ممارسته؟ وما جدلية الخطاب الدعوي من حيث تأسيسه وتدريبه؟ كل تلك المصطلحات لو أصّلت من هدي الكتاب والسنة تطبيقاً قبل التعريف لها، لم يكن ثمة مشاحة في الإطلاقات والتعريفات، فالمغزى والهدف والرسالة في الأخير واحدة، لكن ذلك التباين في البحوث والدراسات أحدث شرخاً في التطبيق الواقعي، بين تعريف خاص بمؤسسات، أو منظمات، اتخذت في مفاهيمها أبعاداً مترامية، فلسفياً وسياسياً وإعلامياً.

بيد أن الأجدر، أن يؤصّل ويؤسس لأي تعريف شرعي أو إسلامي ابتداءً من الكتاب والسنة، ثم النظر في باقي أدلة الفقه الإسلامي، ذلك أن الشيء من معدنه لا يستغرب، وإغفال جانب التأصيل في العلوم الإسلامية والتربوية والاستعاضة بمراجع ومصادر وإحصائيات أجنبية في التعريفات الإجرائية، هو مكنم التيه والبعد عن تأسيس مناهج الدعوة مع ضمان جودة الخطاب الديني للفئات الدعوية والتربوية.

2. المفاهيم الأساسية المتعلقة بمصطلحات الدراسة

1.2. مفهوم الخطاب الديني:

الخطاب الديني يأخذ القلب العام لفحو الرسالة الدعوية المرسلة، سواء تعلق الأمر بالدين من حيث التعداد (اليهودية، النصرانية، الإسلام)، أو من حيث الأحكام وهي الشرائع والسنن التي يحويها هذا الدين فيبنى خطاب أصحابها على نصوصه وأحكامه.

"وفلسفة الخطاب الديني في الوقت الراهن اتخذت في مفهومها كل ما يتعلق بأحكام الديانات السماوية أو الوضعية"⁽¹⁾، سواء تعلق الأمر ببيان حكم شرعي أو غرس فضيلة من خلال سلوك ومعتقد المدعوين.

وعليه ينبغي التنبه إلى حصر مصطلح الخطاب الديني أنه خطاب عام من حيث أداء محتواه الوظيفي، إذ يمكن تفعيله في أي موطن، ذلك أنه لا يختص بمكان معين كما هو الحال مع الخطاب المسجدي، ومنه يأخذ الخطاب الديني معناه الصحيح وفق رسالة الخطاب الموجهة لأصحابه، لأن أصل الدين والملة واحد، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وعليه لا يصح إطلاق الخطاب الديني الإسلامي أو الخطاب الديني المسيحي أو الخطاب الديني اليهودي، ذلك أن مصطلح الأديان خاطئ لا اعتبار له بدليل الآية الأنفة الذكر، إنما هو دين واحد، غير أن التشريعات تختلف بين اليهودية والنصرانية والإسلام، ولأجل ذا سمي الله التشريع إسلاماً، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾⁽²⁾.

فحاصل الأمر أن الخطاب الديني لا يختص بشريعة الإسلامية من حيث إطلاقات الشرائع ونسخها، إنما يفهم منه كل خطاب لا يخرج في رسالته وطرحه عن مقاصد التشريع الإلهي، وهذا من باب إطلاق العموم وإرادة الجزء المخصوص عبر النظر لفحو ورسالة الخطيب والخطاب، وله نطاقات متعددة يترجم أهدافه من خلالها، كالإعلام والمخيمات الصيفية والمراكز الثقافية ودور الشباب وغيرها.

2.2. مفهوم الخطاب الدعوي:

هو خطابٌ يهتم بدرجة أولى لصنفيين من الناس، الأول: بأهل الإسلام الذين تحقق فيهم شرط الإيمان الواجب، والذي تثبت به الأنساب والموارث، وهم الذين سماهم الله تعالى بالظالمين لأنفسهم، أما الصنف الثاني⁽³⁾: وهم غير أهل الإسلام الذين ينشد فيهم تحقيق أصل الديانة عبر تحقيق كلمة

1- أنس أحمد كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفوس، ص: 98.

2- سورة الحج، الآية: (78).

3- محمد بن إبراهيم الحمد، الإيمان، حقيقته وما يتعلق به من مسائل، ص: (122).

التوحيد.

ويقوم الخطاب الدعوي على آليات الأسلوب أكثر من آليات الأحكام، وهو أسُّ منطلق ومبدأ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عبر تأصيل قضايا الأخلاق واستئصال أدران الجاهلية كالعصبية القبلية والتفاخر بالأنساب وواد البنات وهن أحياء.

3.2. مفهوم الخطاب الإسلامي:

وهو خطابٌ يختص بكل ما يتعلق بالتشريع الإسلامي من حيث القواعد الفقهية والأحكام الشرعية والاختيارات الفقهية، قصد بناء المذهب الفقهي استناداً لمرجعية أهل بلد بعينه، كما يدخل فيه الاتجاه العقدي من حيث احتواء الجانب الأصولي في الاختيارات الفقهية على المبادئ الثابتة والمسلمات العقدية المعلومة من الدين بالضرورة.

3.2. مفهوم الخطاب الإسلامي:

هو ذلك الخطاب الذي يحوي رسائل الدين الإسلامي وتشريعاته السمحة، وخصّ المصطلح بالمسجدي لأنه يتجسّد داخل مؤسسة المسجد، يؤدّيه الخطيب وفق الرؤية العامة لأفراد البيئة المدعوة، سواء ما تعلق بالاختيار الفقهي الذي يبني على إثره فتاويه، أو العرف السلوكي القائم على مبدأ تحكيم العادات في السلوك والتربية والعقائد.

5.2. مفهوم الخطاب التربوي:

وهو الخطاب الذي يشمل في كلماته: كل الجوانب التربوية المكلمة للشخصية الإنسانية (الإيمانية، العقلية، الجسمية، الاجتماعية، الوجدانية)، "بهدف تحقيق التوازن للنمو الإنساني قصد تحقيق الهدف العام من إيجاد الخلق وهي العبودية"⁽¹⁾، في حين أن العبادة تشمل كل ما يحبه الله من الأعمال (الجانب السلوكي) والأقوال والنيات.

3. الأسس التأصيلية لبناء مادة الخطاب الديني

1.3. اختيار الوسيلة وانتقاء الأسلوب المناسب:

تباينت آراء العلماء والدعاة حول فلسفة ومنهج الأساليب والوسائل في العملية الدعوية، حيث ذهب بعضهم إلى أن الأساليب والوسائل أسماء لمسمى واحد⁽²⁾، فتكون بهذا المفهوم مجموع الطرق المؤدية إلى إيصال الخطاب الإسلامي لعموم الناس.

بينما ترى طائفة أن بين وسائل وأساليب الخطاب الإسلامي عموم وخصوص، فالوسائل الدعوية

1- خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص: (16).

2- سليمان بن صفية، منهج السلف في الوعظ، ص: (415).

هي أوعية للأساليب الدعوية، فالترابط بينهما وثيقٌ وحاصل.

فالخطبة على سبيل المثال باعتبار وسيلة يترجم من خلالها الخطاب الإسلامي، تحمل في طياتها أساليب دعوية متنوعة، كالوعظ والإرشاد، والترغيب والترهيب وغيرها.

هذا، وجودة الخطاب الإسلامي ينبغي أن يضمن تنوع الوسيلة والأسلوب أثناء التفعيل في الميدان، ذلك أن الوسائل الدعوية عادة تأخذ شكل الأدوات، والآليات، والأوعية الحسية والمعنوية لنقل مضمون الخطاب، فكانت بذلك منفذ وقناة يعبر من خلالها المعنى للناس كافة، أما الأساليب فتأخذ شكل الصيغ والتعبيرات ولأجل ذا يعبر عنها بأنها⁽¹⁾: "فنّ القول"، والرأي الأخير أقرب للصواب من حيث الترجمة الواقعة للسلوك التربوي في الميدان.

2.3. أقسام الخطاب الديني من حيث الوسائل:

يأخذ الخطاب الإسلامي الفاعل من حيث ترجمة مضمونه في الواقع أقساماً متعددة، نجملها في الآتي:

(أ) وسائل أصيلة: وهي كل وسيلة ثبتت مشروعيتها تنفيذها والعمل بها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليها سلف الأمة الصالح، وسلوكها في دعوتهم ووعظهم، كخطب الجمعة والرسائل وغيرها⁽²⁾.

(ب) وسائل تبعية: وهي وسائل مستحدثة طرأت مع تجديد العصور وتطور وسائل الاتصال الحديثة، ولها في نشر الدعوة تأثير ملاحظ وشمولية أكبر ونطاق أوسع⁽³⁾.

(ت) وسائل مباشرة: والتي عادة يتم اتصال الواعظ فيها مباشرة بمن يعظهم أو يدعوهم، من خلال الدروس المسجدية والخطب المنبرية، وهذا النوع يمكن صاحب الخطاب التعرف على التغذية الراجعة لخطابه من خلال ملامح من يعظهم بمجلسه، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من هذا النوع من الوسائل إذا ألمّ أمرهم من شؤون المسلمين.

(ث) وسائل غير مباشرة: ويكون الخطاب فيها دون لقاء المدعوين ومجالستهم، إنما يتم ذلك عبر الكتب والرسائل، أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة، "ولهذا النوع أثر فاعل في شمولية وسرعة الخطاب الإسلامي إلى أكبر عدد من المدعوين"⁽⁴⁾.

1- سيد ساداتي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم، ص: (124).

2- مصطفى مخدوم، قواعد الوسائل، ص: (336).

3- سليمان بن صافية، مرجع سابق، ص: (416).

4- محمد خير يوسف، الدعوة الإسلامية، ص: (26).

3.3. المنظور الأصولي لوسائل الخطاب الديني:

الناظر في منحنى علماء الدعوة من حيث انتباههم الخطاب الإسلامي كوسيلة لإيصال الرسالة الوعظية يجدها لا تخرج عن ثلاثة وسائل نوجزها في الآتي:

(أ) وسائل معتبرة شرعاً: وهي وسائل تحمل مقاصد الخطاب الإسلامي من خلال وجود نص شرعي يكفل مشروعية اعتبارها، كخطبة الجمعة مثلاً.

(ب) وسائل منفية شرعاً: وهي وسائل لم يكفل الشرع تفعيل الخطاب الإسلامي في جوهر قالب أدائها، كالوعظ والدعوة عن طريق الغناء والمعازف والحفلات الصاخبة.

(ت) وسائل مسكوتٌ عنها⁽¹⁾: وهي تلك التي لم يرد نص شرعي خاص باعتبارها أو إلغائها، إنما هي قوالب تحمل المغزى العام للخطاب الإسلامي في مضمونه وجوهره، كمن يعظ بالكنيسة، أو عن طريق مترجم غير مسلم.

4. طرائق المنهج النبوي في تفعيل مادة الخطاب الديني

1.4. توجيه القدرات العلمية والملكات الشرعية:

يتحمل صاحب الخطاب الديني والتربوي مسؤولية بناء الملكة الشرعية لمخاطبيه ومرافقة قدراتهم العقلية على فهم النصوص واسقاطها في جوانب حياتهم، لا سيما توجيهها واستطلاع مواهبهم، فذاك يهوى التاريخ الإسلامي، والآخر السيرة النبوية، وهذا العقيدة الإسلامية، وذاك الفقه، وآخر الحديث... إلخ،

هذا فضلاً عن إسهام الدعاة والمربين الشرعيين - باعتبارهم أول فئة تنصدر الخطاب الديني - في مواصلة بناء وتطوير تلك الملكات والميولات، بما يخوّل من يرتاد مساجدهم ومدارسهم أن يكونوا قادرين على استثمار ما تلقّوه عن إمامهم أو معلمهم من دروس وخطب في بناء شخصيتهم وصقل عقيدتهم وتعديل سلوكهم وتصوّرهم، وليست عناية الإمام أو المربي بتوجيه ملكات الناس بمسجده أو مجتمعه أمراً زائداً عن وظيفته، إنّما هي مهمّة من صميم توجيهه الديني والتربوي بوظيفته، فمنهج التربية الإسلامية في نشر العلم والتوجيه الديني والإرشاد مستمد من الهدي النبوي الشريف، إذ أنه هدي قائم على استطلاع المواهب وإخراجها من أصحابها، ومما يدل على ذلك مواقف النبي ﷺ مع صحابته رضوان الله عليهم، فكان ﷺ يتفرّس تلك المواهب ويستخرجها ثم يذكرها للناس، من ذلك ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم

1- خالد عبد الكريم خياط، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، ص: (113).

أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح⁽¹⁾.

كما وجّه النبي ﷺ صحابته إلى عبادة الدعاء لأجل تقوية ملكتهم العلمية كما فعل مع ابن عباس رضي الله عنه فقال له: "اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل"، أو بالتشجيع له مثلما فعل مع زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما تفرّس فيه ﷺ مهارةً وقدرةً على تعلّم اللغات، فشجّع على تعلم العبرية ليترجم له ما جاء في كتبهم، فأتقنها رضي الله عنه في أيام قلائل⁽²⁾.

2.4. التلازم بين المخبر والمظهر في السلوك والتّصوّر:

ينطلق الخطاب الديني في مرامي دعوته إلى مبدأ شجرة الإيمان، والتي تنمّي في المتعلم جوهر الربط بين ظاهره وباطنه، ولأجل ذا قال صلى الله عليه وسلم (الحياء والإيمان في قون واحد فإذا نزع أحدهما ذهب الآخر)⁽³⁾، وقد سمّى النبي ﷺ كل ذلك إيماناً كما ثبت في حديث الشعب الشهير، بل يتأكد الربط أكثر حتى في شعبة الحياء كقوله ﷺ (والحياء شعبة من الإيمان)⁽⁴⁾.

بل لا بد أن يحمل الخطاب الديني في دعوته مبدأ مراقبة الله تعالى في السر والعلن، في المظهر والمخبر، في السر والعلن، ذلك أن المؤمن إذا ما اختبره ربه فابتلاه أو قدر على رزقه حمله إيمانه على الصبر والاحتساب، وأما إذا أكرمه ونعمه ساقه ذلك لشكره وحمده، قال ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له)⁽⁵⁾.

فينبغي أن يظهر هذا التلازم في فحو خطاب الداعي أو المرابي، ذلك أن الدين الإسلامي حينما قرّر هذا المبدأ إنما قرّره للمصلحة الكاملة للسلوك الإنساني، فشرع له الإسلام لمصلحة ظاهره، وشرع له الإيمان لمصلحة باطنه، وشرع له الإحسان لمصلحة علاقته برّته وخالفه، وسمّى النبي ﷺ كل هذه الثلاثة ديناً.

3.4. اقتران العلم بالعمل:

إذ لا بد أن يقوم الخطاب الديني على مبدأ العلم للعمل، والعمل من العلم، فالتلازم بينهما واقع وحاصل، بمعنى أنّ العمل يزكي العلم، مثل زكاة الصدقة للمال، فبالعلم "تجتنب الشبهات وتصح

1- أحمد ابن حنبل: المسند، برقم: 990/12

2- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ص: 543/1

3- رواه الشيخان، البخاري برقم: 1214، ومسلم برقم: 998.

4- رواه البخاري، كتاب الإيمان، برقم: 214.

5- رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، برقم: 1999.

القربات، فكم من عامل يبعده عمله من ربه، ويكتب ما يتقرب به أكبر من ذنبه⁽¹⁾، ثم إن العلم يحقق في صاحبه الخشية، لذا كان الخطاب الديني الصحيح والمتميز يقوم على مخاطبة الوجدان من منطلق الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، والمتأمل في منهج الدعوة الإسلامية يجد أنه امتاز على غيره من المناهج بأنه "منهج قائم على مبدأ التلازم بين العلم والعمل والمعرفة والممارسة، وهذا من السبق التربوي الذي يسجل له، فالفلاسفة أمعنوا في المعرفة المجردة التي توصل في نظرهم إلى الحقيقة، والكفيلة بتغيير مسار حياة الأفراد والمجتمعات"⁽²⁾، وبعضهم بالغوا في المثالية "لينشروا الفضيلة في المدينة الفاضلة فلم يعثروا عليها"⁽³⁾، وجاءت المناهج الأخرى لتركز على جانب أو جانبين من تربية الشخصية الفردية والمجتمعية، فلم تهتدي إلى إعداد وإيجاد الفرد المتكامل الذي يصلح في نفسه ويصلح غيره⁽⁴⁾.

فالمسلم الذي عرف ربه ومقصد رسالة الأنبياء والمرسلين يستجيب لخطاب الله طواعية في الامتثال للأمر أو اجتنابا للنهي، ولذا يصير هذا الامتثال ثابتاً لا تغيره الأهواء ولا المؤثرات، في حين أن الخطاب العقيم والمؤسس على نظرات فلسفية يدعوا لتحقيق المصلحة البرغماتية، وهذا ما لا نجد في الخطاب الإسلامي الصحيح، لأن مقصده الأول والأخير تكوين مسلم متزن في شتى جوانبه المكوّنة لشخصيته.

5. معايير جودة الخطاب الديني

1.5 الكفاية المنهجية في استقراء النصوص وإسقاط الأحكام:

للخطاب الإسلامي مهمة الكفاية المنهجية بغرض تحقيق مصالح الناس الدينية والدنيوية بطريقة متوازنة وهادفة، عبر بيان طرائق الخير للناس ومراتب الإحسان والتحذير من الشر ومداخله، وذلك في شتى المجالات ومختلف الحالات، ويتجلى ذلك من خلال الوظائف التي يفعل فيها الخطاب الديني، كالكفاية المنهجية للنتائج الفكرية، من خلال التأكد لعدم مخالفته للشرع واصطدامه مع ثوابت الأمة في عقيدتها، أو الرقابة الأخلاقية التي تهتم بحماية عادات وتقاليد المجتمع وموروثه الديني والوطني من الاضمحلال والاندثار، من خلال بعض العادات والسلوكيات الدخيلة التي تضر بقيم المجتمع وتماسكه، وتعرقل التنشئة الصحيحة والسليمة للنشء.

والكفاية المنهجية تضمن السير الثابت للمجتمع ومؤسساته، كما أنها تندرج ضمن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أمر الشارع الحكيم بامتثالها، كل حسب مجال تخصصه، وكل حسب

1- الباجي، أبو الوليد سليمان: وصية الباجي لولديه، ص: 14.

2- عبد الكريم اليافي: تمهيد في الاجتماع، ص: 27.

3- علي خليل أبو العينين: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب: أدب الدنيا والدين، ص: 88.

4- أنس أحمد كرزون: منهج الإسلام في تزكية النفوس، ص: 108.

قدرة تحليله وقياسه في ظل المسؤولية المخولة له وفي حدود النص المنظم لتلك العملية، وهذه الشعيرة -الأمر بالمعروف- هي "القطب الأعظم في الدين، الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفوضى، واستشرى الفساد، ولم يشعروا بذلك إلا يوم التناد"⁽¹⁾.

ولأجل تلك الشعيرة استحقت الأمة الخيرية كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽²⁾، فإذا تخلت الأمة ومن ولّوا مهمة التربية والتعليم فإنه يوشك أن يصيبهم ما أصاب الأمم الغابرة من الضعف والذل والهوان، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونني فلا يستجاب لكم)⁽³⁾.

قال النووي رحمه الله: "وإذا كثرت الخبث عمّ العقابُ للصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك الله أن يعمهم بعقابٍ من لدنه يعدله ومشيئته"⁽⁴⁾.
فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم.

2.5 التدرج المنهجي في التلقين الفقهي والتأصيل العقدي:

فلا يكون همٌّ من يتصدّر الدعوة وتعليم الناس من خلال الدروس وأداء الخطب مجرد عرضٍ للنصوص والأدلة دون النظر في كيفية ومدى استيعاب عقل الناس لحجم تلك النصوص، لا سيما مدى قدرتهم على التفاعل معها بالبيئة الدعوية أو التعليمية، هذا فضلاً عن عدم تتبّع أو قياس أثر تلك الدروس والخطب في التغيير الذي أحدثته على سلوك الناس، لأن السرد الارتجالي للأدلة والنصوص الخالية من المعالجة التربوية من شأنه الإضرار بعقل الناس وعدم استيعابهم للهدف المراد من المرّبي أو الداعي، فيكون حينئذ مغزى خطابه الديني أو المسجدي شبيهاً بالقصص المنثورة والآراء المتناقلة.

فالخطاب المنهجي في تأصيل القيم الإيمانية والمبادئ الإسلامية لدى الناس من شأنه إحداث الأثر التربوي المرتقب، أو إمكانية التنبؤ به من خلال التغيير التدريجي الملاحظ في معتقد وسلوك الناس، وقد أشار منهج القرآن الكريم إلى هذه القضية الجوهرية من خلال أمر الله تعالى للعلماء والمرّبين أن يكونوا ربانيين إزاء تعليمهم الناس فقال سبحانه ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ النَّاسَ وَبِمَا كُنْتُمْ

1- الغزالي، أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين، ص: 101

2- سورة آل عمران، رقم الآية: (110).

3- رواه الترمذي، برقم: 2169

4- أنظر: النووي، المجموع شرح المذهب، ص: 210.

تَدْرُسُونَ⁽¹⁾، والرياني هو الداعية أو المعلم الحكيم الذي يراعي مبدأ فقه الأولويات في تلقين مهمات الدين للناس من خلال خطابه ودعوته، فيبدأ بصغار العلم قبل كباره، مراعيًا في ذلك قدرات الناس العقلية وفروقهم الفردية.

والناظر في أمهات كتب الحديث النبوي يجد أن مؤلفوها انتهجوا فحوى الآية الكريمة في تبويبهم عناوين كتبهم إيصلاً للدين لهذه الأمة المباركة، فسئلوه عليهم وفصلوه باباً تلو الآخر مجزاً، ومعنواً كما فعل أئمة الكتب الستة وغيرهم، وهذا الأخير يندرج تحت قاعدة عظيمة ومعتبرة في الشريعة الإسلامية مفادها «الأدب قبل الطلب»، تحقيقاً لمبدأ الثبات والاستمرار في جودة الخطاب الإسلامي، ولذا قال ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)⁽²⁾.

3.5 ضبط فقه الواقع وموازنة مستجدات النوازل:

فلا بد أن يكون الخطاب الديني مشحوناً بكل الأدلة والاحصائيات، درأً لشتى صنوف التحديات وتعدد طرائقها، ومساعدة المسلم في أن يتغلب على الإفرازات السلبية للشبهات والشهوات، ذلك أن التحديات إما أن تؤثر سلباً أو إيجاباً على المدعوين، "ويكون التأثير إيجابياً إذا كان هناك استثمار منهجي لهذه التحديات"⁽³⁾، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع الخطوات المنهجية المتمثلة في معرفة طبيعة التحدي وخصائصه، ثم تحليل عناصره والتميز بين المفيد والضار منه ثم وضع استراتيجيات للاستفادة من إيجابياته وطرح سلبياته وتقليل مفسدتها في ضوء أهداف المنهج الإسلامي ومقاصد الشريعة.

ذلك أن الإسلام كعقيدة وديانة في الوقت الراهن ولقيام الساعة يواجه عقبات ومطبات تقف أمامه وتحاول التطاول عليه إما كسراً لشوكته أو استصغاراً لقيمة أهله، وهي سنة التدافع بين الخير والشر ليميز الله الخبيث من الطيب، بل حتى الأنبياء عليهم السلام لاقوا تحديات رهيبية إزاء دعوة قومهم للإيمان، فقوم نوح عليه السلام قالوا لنبيهم: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِأَدْيِ الرَّأْيِ﴾⁽⁴⁾، إلا أنه عليه السلام صمد وواجه سخريتهم يقيناً منه أن الوصول للهدف الأسسى له ضريبة هي في حد ذاتها محفز إيجابي لمواصلة الدرب.

ومما يعزز هذا المنهج توجيه النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن داعياً ومبشراً، قال له: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا

1- سورة آل عمران. رقم الآية: (79).

2- أخرجه البيهقي، السنن، ص: 124.

3- فريد عزوق، المنهج التربوي لإعداد طالب العلم الشرعي، ص: 124.

4- سورة هود، الآية: (27).

لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنِيهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَآتَقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ⁽¹⁾.

ففي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه عن طبيعة القوم المدعويين وهم (أهل الكتاب)، وهذا يوحي أن ثمة تحدياً قائماً أصالةً، فهم ليسوا وثنيين بل أصحاب دين، فالمتوقع منهم أن يجادلوا ويندبوا عن معتقدتهم بما ورثوه عن أجدادهم، لا سيما توقعهم مقاصد خطاب دعوة معاذ رضي الله عنه كونها دعوة الأنبياء، لذا حدّد له النبي ﷺ الغاية من اتيانهم (فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...)، وهذا فيه إلزام استئصال تحدي الشرك الذي كان قائماً فيهم، بالحوار والمناقشة، فإن هم أطاعوه، أي إن هم أقرروا بالأول ذهب للدعوة الثانية، وهذا ما يعرف بفقهاء الأولويات في التلقين والتعليم.

فحاصل الأمر: أن الخطاب الديني اليوم ينبغي أن يكون واقعياً وملماً فقه النوازل في الطرح والمعالجة، من خلال معرفة طبيعة التحدي الذي يواجه الخطاب اليوم، الأمر الذي يتطلب حنكة وحكمة وصبراً من الخطباء والدعاة والمربين في خطابهم الديني والمسجدي والإسلامي عبر مختلف الوسائل والوسائط.

6. الثمرات الدعوية والتربوية للخطاب الديني المنهجي

يخلف الخطاب الديني الصحيح، والمبني وفق أسس منهجية وأطر مرجعية، أثراً قيمة وثماراً يانعة، نوجزها في الآتي:

1.6 محبة الله والأنس به:

يولّد الخطاب الإسلامي المشحون بالأدلة والمفعم بالأساليب المنهجية، المتّزن في الطرح والمعالجة محبة الله عز وجل والتعلّق به والاستئناس بذكره والتقرب إليه طوعاً وكرهاً، ومحبة الله تعالى "أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجلّ قواعده، بل هي أصل كل عملٍ من أعمال الإيمان والدين، وهي أصل التوحيد العملي وأصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده، وهي حياة القلوب ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وقرّة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة، فيها تتحقّق أعظم اللذات وأفضل القربات وأطيب الحياة"⁽²⁾.

هذا، وإذا كان الإيمان يولّد المحبة، فإنّ المحبة تُوصل إلى القرب من جناب الله تعالى، ومن كان من الله أقرب كان له أنس وأسعد، "والأنس ضدّ الوحشة، والأنيس الذي يُستأنس به، وتأنّست به إذا

1- رواه البخاري، برقم: 162/5

2- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، 24/3

سكنَ إليه القلبُ ولم ينفر⁽¹⁾، والأنسُ بالله تعالى يقتضي سُكُون القلب لربه وطُمأنينته به واستوحاشه من غيره، "وهو من آثار المحبّة التي تثمرُ تمام الانشغال بالمحبوب وبذل الدّل له، بحيثُ يكون قلبه كُلُّه لله وبالله ومع الله، فلا يتعلّقُ به شاغلٌ يشغله عن سلوكه وسيره إلى الله، لشدّة طلبه الباعث عليه أنسه"⁽²⁾.

2.6 الثبات على العبادات واقبال النفوس نحو الطاعات:

إنّ مما يُخلفه الخطاب الديني الصحيح في نفوس الناس، ثباتهم على العبادات زماناً ومكاناً وحالاً، لا سيما حتّم للاستدامة منه وعدم الانتكاسة عنه، والنّفوس جبلت وهيئت على حب الإيمان والاستزادة منه وملازمة أهله، ومنهج التربية الإيمانية كفيلاً بلزوم المؤمن طريق الإيمان والثبات عليه إزاء مرونة ذلك المنهج وتوافقه مع الفطرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁽³⁾.

والثباتُ على الدين الصحيح بمفهوم الإيمان الشرعي وتعدّد شعبه قضية جوهرية يسعى إليها المربون والدعاة قاطبة، وما ذلك سوى ما يتأتى جزاء الثبات من توفيق وهدى، وسداد القول والفعل وقوة البصيرة، ولا ضير، فهو منّة من الله ونعمة على عباده في الشدائد والمحن ومواطن الشبه، فينجوا صاحبه بفعل دافع الإيمان الذي ينيّر له طريق الخلاص والفلاح وهداية قلبه للتي هي أقوم.

3.6 فُشو مظاهر اليسر والسماحة والمرونة والاعتدال:

يعوّد الخطاب الديني الهادئ والمفعم بالنصوص والقصص على التريث ورجاحة عقول الناس، فينموا فيهم إزاء ذلك طيبة القلب وريّفته، فتفشوا منه مظاهر السماحة والليونة والاعتدال وحب الخير وأهله، وقد تميّز الدين الإسلامي عن بقية الأديان الأخرى باليسر ورفع الحرج عن أهله، سواءً في أحكامه أو خطابه أو شرائعه، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽⁴⁾.

هذا، والمتأمل في الهدي النبوي الشريف يجدُ أن النبي ﷺ كثيراً ما كان يحثُّ أصحابه على اللين والتيسير والبعد عن التّشدد والتعقيد، قال ﷺ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوءِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ)⁽⁵⁾، كما أمر النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري لما أرسلهما إلى اليمن داعين إلى الإسلام والإيمان بضرورة التحلي بالخلق السامي

1- ابن الأثير، المبارك ابن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص (22).

2- أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، (4/339).

3- سورة الحجرات، الآية: (07).

4- سورة الحج، الآية: (78).

5- رواه البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم: (38).

والأدب الراقي، وأخير ﷺ أن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره فقال حاثاً زوجته رضي الله عنها: (يا عائشة!)، إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه⁽¹⁾.

ويمكن إجمال تلك الآثار الجسيمة للخطاب الديني والتربوي في هذا الصعيد فيما يلي:

- البعد عن الكراهة والضعفينة وسائر الآفات النفسية وأمراض القلوب والصدور.
- التعويد على الرفق ولين الجانب ومحبة الخير للغير وإيثاره قبل محبته للنفس.
- تأسيس جملة من القيم التربوية الإيمانية التي من أبرزها: الإيثار، المحبة، التكافل، التكامل.
- البعد عن المشقة في تعلم أحكام الدين، والتشدد والتنطع في سائر مجالات الحياة.
- اكتساب الحياة الهادئة والمطمئنة من خلال تحقيق خلق الرفق.
- تربية الناس على التسامح فيما بينهم وإقالة عثرات غيرهم والتغاضي عليها.
- تربية الناس على تقبل ظروفهم والرضى بقدراتهم في إعداد واجباتهم وإن لا تكليف إلا بمقدور.
- بيان أسس الدعوة الإسلامية الصحيحة والقائمة على الوسطية واللين والاعتدال.

4.6 تمكين الحصانة الفكرية:

يخوّل الخطاب الإسلامي الفاعل لدى أفراد الأمة حصانة فكرية رائدة، والحصانة هنا نعني بها "تنظيم أولويات التفكير، وضبط تبادل المعلومات بين المسلم وغيره"⁽²⁾.

فالحصانة الفكرية إذن تأتي في سياق السياج الواقي لأي وافد من الأفكار والقيم وفقاً للخطاب الإسلامي المروّج، سواءً أكان الوافد داخلياً أو خارجي، وسواءً أكان من المسلم أو من غيره، في حين تأتي الوحدة الفكرية لتكمل هذه الحصانة من خلال وضع أسس وأصول ومنايع ترجع إلى الفكر والخطاب الإسلامي معاً.

والحصانة الفكرية تقي الناس من تفكك مبادئهم الإسلامية وضمحلل مقوماتهم الإيمانية، لذا يأتي الخطاب الديني الفاعل ليضبط التعامل مع الأفكار الوافدة، والسنة النبوية لم تغفل في ثناياها مقومات الحصانة الفكرية حمايةً لعقل المرء من أي إيذاء أو ضرر أو انحراف.

1- رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم: (4697).

2- محمد عيسى الشرفين: الحصانة الفكرية، المجلة الأردنية، عدد/77، ص (20).

7. الخاتمة

فلسفة الخطاب الديني تتناول دراسة الأسس والمبادئ التي يركز عليها الخطاب الديني، وتحاول فهم مفهوم الدين ودوره في حياة الإنسان من منطلق تأصيلي، وكذلك مفهوم الخطاب الديني وأهميته في توجيه الفرد والمجتمع نحو الصواب والخير.

هذا، وتعتمد فلسفة الخطاب الديني على القراءة المنهجية والاستقرائية للنصوص الشرعية في ضوء أدلة الفقه الإسلامي حيال النوازل والمستجدات، ومن ثمة تحليلها بطريقة منهجية واستخلاص المعاني العميقة التي تحملها. وتهدف هذه الفلسفة إلى فهم سياق الخطاب الديني وغاياته، والتعرف على الأسس الفلسفية التي يركز عليها.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها في ضوء بحثنا هذا مايلي:

1. يتضمن الخطاب الديني فلسفة خاصة بشأن الإنسان والحياة والكون، ويهدف إلى دفع الفرد إلى الاقتداء بالنموذج الحسن واتباع الطريق الصحيح.
 2. يقوم الخطاب الديني على أسس منهجية وركائز أصولية تستند للكتاب والسنة مهما تغيرت الأزمنة والأمنة، الأمر الذي يمنحه سمة الشمول والتكامل مع الأحداث.
 3. يركز الخطاب الديني على قيم مثلى، كالعدل والمساواة والإنسانية والتسامح والرحمة، ويسعى إلى ترسيخ هذه القيم في نفوس الفرد والمجتمع.
 4. يحمل الخطاب الديني رسالة إيجابية تحث الفرد على العمل الصالح والتعاون والتضحية من أجل الخير العام.
 5. يتمتع الخطاب الديني بصلاحيه كبرى في الحفاظ على القيم والأخلاق والتقاليد الإنسانية، ويمثل حاضنة أمن للمجتمع في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة.
 6. يجب أن يتميز الخطاب الديني بالاعتدال والتوازن والاحترام للآراء المختلفة، وأن يعتمد على المنطق والعقل والحوار، وأن يساعد في تهدئة الأوضاع المتوترة وتحقيق السلم الاجتماعي.
- وبشكل عام، تعد فلسفة الخطاب الديني أحد الفروع المهمة في الفلسفة الدينية المعاصرة، إذ تسهم في فهم الدين وتطبيقه في الحياة اليومية بشكل صحيح ومثمر إن أحسن الاستقراء والتتبع لنصوص الوحيين، الأمر الذي يضمن بناء شخصية إسلامية متزنة في سائر جوانبها التربوية، والتي في مقدمتها الجانب الإيماني للإنسان.

8. قائمة المصادر والمراجع:

• المؤلفات:

1. ابن الأثير: المبارك بن أحمد الجزري (1399هـ): النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.
2. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (1379هـ): فتح الباري شرح الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة.
3. ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (1393هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
4. أبو جادوا محمد صالح (1425هـ)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط/4.
5. أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت): السنن، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر.
6. أبو يزيد سليمان العربي بن صفية (1431هـ): منهج السلف في الوعظ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط/1.
7. أحمد، ابن حنبل (د.ت): المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
8. أنس أحمد كرزون (1418هـ): منهج الإسلام في تزكية النفوس، ط 2 جدة، دار نور المكتبات.
9. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (1423هـ): وصية الباجي لولديه، تحقيق: عبد اللطيف الجيلاني، بيروت، دار البشائر الإسلامية.
10. البخاري، محمد بن إسماعيل (1407هـ): الجامع الصحيح (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة.
11. البيهقي، أبو بكر (2003م): شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الهند، ط/1.
12. الترمذي، محمد بن عيسى (1412هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
13. خالد الحازمي (1426هـ): أصول التربية الإسلامية، ط/2، دار الزمان، المدينة المنورة.
14. خالد عبد الكريم خياط (1991م): الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، دار المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن.
15. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (1425هـ): العلاقة المثلى بين العلماء والدعاة ووسائل الاتصال، دار الفضيلة، ط/1، الرياض.
16. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (1421هـ): ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم، دار الفضيلة، ط/1، الرياض.
17. عبد الكريم اليافي (1383هـ): تمهيد في علم الاجتماع، دمشق، مطبعة جامعة دمشق.
18. علي خليل أبو العينين (د.ت): قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتاب: أدب الدنيا

والدين، د/ط، دار الفكر العربي.

19. عمر، معن خليل (2005م): علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط/1.
 20. الغزالي، أبو حامد محمد (د.ت): إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.
 21. محمد بن إبراهيم الحمد (1424هـ): الإيمان حقيقته وما يتعلق به من مسائل، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط/3.
 22. محمد خير يوسف (2008م): الدعوة الإسلامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.
 23. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري (د.ت): الجامع الصحيح، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
 24. مصطفى بن كرامة الله مخدوم (1424هـ): قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
 25. النسائي، أحمد بن شعيب (1406هـ): السنن الصغرى (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.
 26. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (1392هـ): شرح النووي على الجامع الصحيح «المنهاج»، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/2.
 27. النووي، أبو زكريا، معي الدين (د.ت): المجموع شرح المهذب، المقدمة، دار الفكر.
- الأطروحات:
 - 28. عزوق فريد (1434هـ): المنهج التربوي لإعداد طالب العلم الشرعي في ظل التحديات المعاصرة، رسالة علمية غير منشورة، مقدمة لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه في التربية الإسلامية، قسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
 - المجالات:
 - 29. محمد عيسى الشريفي (1422هـ): الحصانة الفكرية، المجلة الأردنية، الأردن، عدد/77.